المنظومة
ALMANDUMAH

العنوان:	بلاغة الحجاج عند ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة أنموذجا
المصدر:	مجلة لغة . كلام
الناشر:	المركز الجامعي احمد زبانة بغليزان - مخبر اللغة والتواصل
المؤلف الرئيسي:	صبيحة، جلايلية
مؤلفين آخرين:	زرقين، فريدة(م. مشارك)
المجلد/العدد:	مج7, ع2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2021
الشهر:	مارس
الصفحات:	265 - 276
DOI:	10.35779/1718-007-002-023
رقم MD:	1156217
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	البلاغة العربية، الحجاج اللغوي، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، ت. 456 هـ.، كتاب طوق الحمامة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1156217

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

صبيحة، جلايلية، و زرقين، فريدة. (2021). بلاغة الحجاج عند ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة أنموذجا.مجلة لغة . كلام، مج7, ع2، 265 - 276. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1156217

إسلوب MLA

صبيحة، جلايلية، و فريدة زرقين. "بلاغة الحجاج عند ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة أنموذجا."مجلة لغة . كلاممج7, ع2 (2021): 265 - 276. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1156217

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http: //www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 07/ العدد: 02 مارس (2021) - ص 265- 276

بلاغة الحجاج عند ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة أنموذجا-

The eloquence of pilgrims at Ibn Hazm Al-Andalusi : -Tawk Al Hamama as an example-

جلايلية صبيحة[1]
djelailia.sabiha@univ-guelma.dz[1]
زرقين فريدة[2]
boumahra.farida@univ-guelma.dz[2]
جامعة 8ماي 1945-قالمة/ الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/06/22 تاريخ القبول: 2020/07/15 تاريخ النشر: 2021/03/15

ملخص البحث

لقد شاع عند جملة من الباحثين، أن الظاهرية وعلى رأسهم ابن حزم الأندلسي، لا يعولون على المعطيات الإستعمالية، و أن جل ممارساتهم النصية تعتمد على السياق دون غيره، وعليه تتجه هذه الدراسة، إلى التركيز على البعد البلاغي للبنية الحجاجية في الممارسات التطبيقية لابن حزم، من منظور المنهج التداولي، هذا الأخير الذي يعيد الاعتبار للعوامل غير اللسانية والتي منها المقام و السياق و القرائن الخارجية، فأصبحت الجملة في المقامات التخاطبية من منجزات التداولية. و رسالة طوق الحمامة مقاصدية، تبحث في منظومة الأركان التخاطبية (المخاطِب، المخاطَب، الخطاب، السياق)، وانتهج فيها صاحبها المنهج الظاهري الذي يعتني بالتراكيب اللغوية في فهم الدلالة، وفي الوقت نفسه للمنطق حضور واضح.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، البلاغة، السياق، المقام، ابن حزم

ABSTRACT:

It was popular with a group of researches that, Al-Dhahiria is led by Ibn Hazm Al-Andalusi does not count the usage data.and the most of their textual practices depend on the context only. therfore, this study tends focus on the rhetorical dimension of the structure of pilgrims. In the practical practices of Ibn Hazm from the perspective of thepragmatic methode.Ibn Hazm also pursued of Tawk Al Hamama,that looks after linguistic stuctures in understanding significance.

Keywords : Pilgrims – Rhetoric- Context- Maqam- Ibn Hazm.

[1] المؤلف المرسل : جلايلية صبيحة

1. مقدمة:

على الرغم من كل الاختلافات التي تحملها التعريفات التي أعطيت للحجاج، فإنها تكاد تتفق على أن الحجاج هو بذل الجهد لغاية الإقناع، إنه طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم، أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة، و على هذا الأساس من الطبيعي أن يكون مجال الحجاج هو المحتمل و الممكن و التقريبي و الخلافي و المتوقع وغير المؤكد...، و أن يبنى على التفاعل و الاختلاف في الرأي، و أن يظل مفتوحا أمام النقاش و التقويم... و أن يحضر في كل أنماط الخطاب التي تنزع منزعا تأثيريا لا يقين فيه و لا إلزام.

إذن فالحجاج هو تقديم الحجج و الأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، و هو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، و بعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، و بعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها. إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، و لكنها محددة أيضا، و أساسا، بواسطة سياق هذه الأقوال نفسها، و بواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها و تشغيلها.

و نظرا للأهمية البالغة لنظرية الحجاج الحديثة في استقراء تراثنا العربي، ارتأينا البحث في آليات تطبيقها على أثر أحد أبرز أعلام الفكر الأندلسي وهو ابن حزم الأندلسي الظاهري في محاولة منا لرصد كيفية اقناع المتلقي و البحث في مكامن الطاقات الحجاجية لدى ابن حزم؛وعليه نطرح الاشكالية التالية :

- ما هي أهم السياقات الحجاجية التي جعلت حجة ابن حزم أكثر بلاغة؟

ولكي نجيب عن هذه الاشكالية وضعنا الفرضيات التالية:

-هل للسياق دور في جعل حجاج ابن حزم أكثر بلاغة؟

-أم أن بلاغة الحجاج هي التي أبانت عن جمال السياق؟

-أم أن أسلوب ابن حزم هومن ساهم في تبيان قوة الحجة؟

-أم أن تظافر كل هذه الأمور جعل من حجة ابن حزم أكثر بلاغة؟

و نسعى من خلال هذه الدراسة تحقيق الأهداف التالية:

- الحجاج هو من يمكن الكاتب من ايصال مقاصده.
- قوة الحجاج تكمن في تدعيم قول الكاتب من جهة ومن جهة أخرى اقناع المتلقي.
- الحجاج لايضيف قيمة جمالية للسياق فحسب بقدر ماله قيمة بلاغية و تأثيرية.

ولأن ابن حزم معروف بطبعه العقلي، ومنهجه النقدي، مع دقة أسلوبه وغزارة فكره جاء بحثنا لتطبيق منهج من مناهج التداولية، و المتمثل في الحجاج، باعتباره أحد مباحثها على رسالة "طوق

الحمامة في الألفة و الألاف"، وقد وقع اختيارنا على هذه المدونة لما تحويه من لغة راقية و أسلوب شيق يثير المتلقي.

2. مفهوم الحجاج

1.2 لغة:

أ- في المعاجم العربية :

يعرفه ابن منظور في مادة" حجج" بقوله: " الحجة البرهان وقيل الحجة ما دوفع به الخصم"[1]؛ وقال الفيروز أبادي: " والحجة بالضم البرهان: و المحجاج الجدل"[2].

ب-في المعاجم الغربية:

أخذت كلمة argument. من الفعل اللاتيني arguere، و تعني جعل الشيء واضحا و لامعا و ظاهرا، و هي بدورها من جذر إغريقي (argues) و يعني لامعا[3].

و يشير المصطلح argue في اللغة الإنجليزية الحديثة إلى وجود اختلاف بين طرفين، و محاولة كل واحد منهما إقناع الآخر بوجهة نظره من خلال تقديم الأسباب أو العلل التي يراها حجة مدعمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك ما[4].

ويحدد لالاند[5] معنى الحجاج من خلال تقديم المعطيات التالية:

- المحاجة أو الحجاج: هي سلسلة من الحجج تنتهي بشكل كلي إلى تأكيد النتيجة نفسها، و يرى أن الحجاج طريقة في تنظيم الحجج و استعراضها أو تقديمها.

- الحجة: و يعتبرها بمثابة استدلال موجه لتأكيد قضية معينة أو دحضها، أو تفنيدها، ويرى - من ناحية أخرى - أن هناك من يعتبر كل حجة دليلا.

- الدليل: إنه عملية توجه التفكير العقلي بصورة يقينية و مقنعة. و بذلك يتخذ الدليل صورة استدلال تصير فيه النتائج منسجمة مع المقدمات التي انطلقت منها. .... الدليل من جهة أخرى إلى الواقع، ليأخذ من ثمة مضمونا ماديا تصبح بموجبه الوقائع و الأحداث و الوثائق بمثابة أدلة. و يتميز الدليل عن الأشكال الأخرى للاستدلال بميزة الحقيقة. إذ إن كل ما يحمل عليه يعتبر في غالب الأحيان حقيقيا.

- البرهنة: هي استنباط يوجه لتأكيد أو إثبات سبق نتيجة، و ذلك بالاستناد إلى مقدمات معترف لها بميزة الصدق أو الحقيقة.

2.2 اصطلاحا: إن الحجاج هو تقديم الحجج و الأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجازات تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، و بعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز متتاليات من

الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها. و تهتم البلاغة الجديدة بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب، ثم يتطور، كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور"[6]

إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا، و أساسا، بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها و تشغيلها[7].

وتقومُ نظريّة الحِجاج -حسب ما يرى "دان سبيربر"- على أنَّ المَنطِقَ لا يساعدُ الأشخاصَ في اتّخاذِ القرارات، وأنَّ التفكيرَ يقتصرُ في وظيفتِه على إقناعِ الآخرين، وتقييمِ حُجَجِهم، وأنَّ الإنسان بحاجة إلى بَذْلِ مَجهودٍ ذِهنيّ؛ لإقناعِ الناس بالفكرة التي لديه، من خلال أسلوب الخَطابة، وتقديم البراهين، والأسباب التي تُؤكّدُ أنّه على صواب، بمعنى أنَّ الحُجَجَ التي يجبُ عليه تقديمُها، يجبُ أن تكونَ لجانبِه ومُؤيّدةً لأفكارِه، كما تُؤكّدُ نظريّةُ الحِجاجِ أنّ للناسِ قُدرةٌ على التفكير بشكل جماعيّ؛ للتوصُّلِ إلى الحلِّ الصحيح.

3.2الحجاج عند ابن حزم: لقد ربط ابن حزم الحجاج بالفلسفة فقال: " أليست الفلسفة موقوفة على البراهين المفرقة بين الحق و الباطل". وهذا يعني أن ابن حزم يتبع منهجا فلسفيا قائما على المنطق في استعمال البيان مستغلا السياق التاريخي لترسيخ الأمثلة، باعتبارها أدوات حجاجية تدعم القضية المتناولة بالدراسة. وهذا يشبه الحجاج عند "بيرلمان"وتيتكاه" في بحثهما عن القياس والشاهد وغيرها من مستلزمات الدرس الحجاجي التداولي اليوم[8].

3.المبادئ الحجاجية:

وجود الروابط و العوامل الحجاجية لا يكف لضمان سلامة العملية الحجاجية، ولا يكف أيضا لقيام العلاقة الحجاجية، بل لابد من ضامن يضمن الربط بين الحجة و النتيجة، هذا الضامن هو ما يعرف بالمبادئ الحجاجية، وهي تقابل مسلمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصوري أو الرياضي.

هذه المبادئ هي قواعد عامة تجعل حجاجا خاصا ما ممكنا، ولها خصائص عديدة نذكر منها ما يلي[9]:

أ- إنها مجموعة من المعتقدات و الأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة.

ب- العمومية: فهي تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة و المتنوعة.

ت- التدرجية: إنها تقيم علاقة بين محمولين تدريجيين أو بين سلمين حجاجيين (العمل – النجاح) مثلا.

ث- النسبية: فإلى جانب السياقات التي يتم فيها تشغيل مبدأ حجاجي ما،هناك إمكان إبطاله و رفض تطبيقه باعتباره غير وارد و غير ملائم للسياق المقصود، أو يتم إبطاله باعتماد مبدأ حجاجي آخر

مناقض له. فالعمل يؤدي إلى النجاح ولكنه قد يؤدي إلى الفشل في سياق آخر إذا زاد عن الحد المطلوب[10].

4. الروابط و العوامل الحجاجية:

لقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية. نذكر من هذه الذوات: لكن، بل، إذن، حتى، لاسيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، ما...إلا...

إن هذه الأدوات التي دفعت "ديكرو" و"أنسكومبر"إلى رفض نموذج "شارل موريس"و الدفاع عن فرضية التداوليات المدمجة. و ترتبط القيمة الحجاجية لقول ما بالنتيجة التي يمكن أن يؤدي إليها، أي بتتمته الممكنة و المحتملة، ولا ترتبط بتاتا بالمعلومات التي يتضمنها[11].

العوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية، أي بين مجموعة حجج، بل تقوم بحصر و تقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا كثيرا، ما...إلا، وجل أدوات القصر.

أما الرابط الحجاجي (حروف العطف، الظروف...) فهو يربط بين وحدتين دلاليتين، أو أكثر، في إطار استراتيجية حجاجية واحدة، وهذا في إطار الصيغة الجديدة للنظرية الحجاجية، أما في التصور السابق، فقد كنا نقول إنه يربط بين بين قولين أو أكثر، وقد تم التخلي عن هذا التصور لأن ظاهرة الربط جد معقدة، و لأن الربط بين الأقوال ليس إلا حالة خاصة، فقد يربط الرابط بين قولين وقد يربط بين عناصر غير متجانسة،كأن يربط مثلا بين قول و قولية، أوبين قول و سلوك غير كلامي، إلى غير ذلك من الحالات الممكنة.[12]

5.بلاغة الحجاج في طوق الحمامة في الألفة و الألاف لابن حزم الأندلسي:

1.5 الحجاج في باب: الكلام في ماهية الحب: هذا الباب هو الباب الأول في الكتاب، وبما أن الكتاب رسالة، فقد جعل ابن حزم له صدرا أسماه ب "صدر الرسالة" وجعل هذا الصدر ضمن الباب.

ينبني هذا الباب على ثلاث حركات حجاجية، وهي بمثابة بنى حجاجية، تنطلق الحركة الحجاجية الأولى من أول النص(الباب)بداية من قوله: "الحب-أعزك الله- أوله هزل و آخره جد..."إلى قوله: "هذا قتيل الهوى لا عقل و لا قود"[13].و تمثل هذه الحركة الحجاجية الأولى التي يريد الكاتب الأقناع بها.

أما الحركة الحجاجية الثانية: فتبدأ من قوله: "وقد اختلف الناس..."إلى قوله "عذمنا ما له وجد"؛ و تبدأ الحركة الحجاجية الثالثة من قوله: "ومما يؤكد هذا القول أننا علمنا أن المحبة ضروب..." إلى قوله: "استحسان روحاني، و امتزاج نفسي". يلي هذه البنى الحجاجية، التبكيت المسبق مكان الحجاج

المضاد (حجاج الخصم المحتمل).و يبدأ من قوله: "فإن قال قائل" إلى آخر الباب الأول "العشق منذ بدأ الخلق".

وما يمكن قوله أن النص ينطلق من حكم يورده الكاتب ليشكل أطروحة يريد الإقناع بها. ومفاد هذه القاعدة أن الحب ليس محرما ولا هو منكر في الدين "وليس بمنكر في الديانة ولا بمحضور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عز وجل"[14]

فهذه العاطفة تتخذ معنى الحتمية التي تنتزع من الإنسان عملية الاختيار،وهذا ما جعل الكاتب يدعم هذه المقولة بواسطة الحجج التالية:

أ- **حجة التحديد**: "القلوب بيد الله. فالله مالك الدنيا ومالك كل شيء.و إذن فهو مالك للقلوب" وهذه الحجة تعتمد على انتماء المعطى .

ب- **حجة الأنموذج**: وقع في الحب أناس ليسو من عامة الناس." الخلفاء الراشدين" و "كبار الرجال و دعائم الدولة" و كذلك منهم "الصالحون و الفقهاء".

ت- **حجة الكم**: هؤلاء الرجال الذين يمثلون نماذج سياسية و دينية وهم كثيرون: "و قد أحب من الخلفاء المهديين و الأئمة...كثير"."فأكثر من أن يحصوا"...هذه الحجة، أصلها فلسفي يعيد "الأكثر"إلى "الأنفع".

ث- **حجة الشاهد**: وتتمثل في إيراد الكاتب الفتوى التي قدمها "ابن عباس رضي الله عنه مالا يحتاج معه إلى غيره حين يقول: "هذا قتيل الهوى،لا عقل ولا قود"

فصاحب هذا الشاهد له سلطة دينية وفقهية عالية.

ج- **الحجة بالمثل**: وتتمثل في مجموع القصص التي أوردها الكاتب حول هؤلاء الخلفاء وغيرهم من الذين وقعوا في الحب. وهي قصص تستند إلى الواقع.

- **طبيعة الحجج و ترتيبها**

مما يلاحظ من خلال ابن حزم هذه الحجج أنها متنوعة و مختلفة المصادر. فهناك حجة نقلية (4) وحجة عقلية (1) إذ ما دمنا نسلم بالكل فيجب أن نسلم بالجزء المتكون منه. و توجد كذلك حجتان مستمدتان من الواقع الذي يمثل حجة قريبة من الجمهور (2و5). كما عمد الكاتب إلى إيراد حجة يعود أصلها إلى الفلسفة (3).

و نلاحظ أن الكاتب قد أورد هذه الحجج وفق نظام مخصوص فهي تتدرج من العام إلى الخاص. فعاطفة الحب بيد الله: السلطة الأولى واللامتناهية. تليها سلطة الأنموذج(الخلفاء...) ثم تتدرج شيئا فشيئا نحو الكم للتخصيص. ويحتوي هذا التدرج تدرجا آخر يتمثل في انفصال ما هو معنوي عن

المادي المحسوس القابل للعد. "الأئمة الكثيرين". هذا التدرج ينتهي إلى الحجة بالمثل و هي الأقرب على الملموس.

النتيجة:

و هي المقتضى. إن المتمعن في أطروحة ابن حزم و في حججه يستشف أكثر من معنى مخفي وراء قوله. فهو في الظاهر لا ينكر مسالة الحب و لا يحرمها. غير أننا إذا تمعنا في القول فسنتبين أنه لا يبيحها ولا يحللها تماما. وهذه حلقة من الحلقات الخفية التي تشد المسار الحجاجي في النص.

إن الكاتب نزع عن نفسه مسؤولية الإقرار "بشرعية الحب". ولكن ذلك كان في الظاهر فقط. فإذا تتبعنا الخيط المكون لسلسة الحجج، فإننا نتبين أنه في كل مرة يتحدث فيها عن النساء اللواتي أغرم بكل منهن خليفة أو حاكم... يقدم هذه المرأة من تكون. وقد لاحظنا من خلال النص أن جل هؤلاء النساء كن زوجات لهم. بل هن أمهات. "طروب أم عبد الله ابنه أشهر من الشمس..." غزلان أم بنيه عثمان و القاسم.. صبح أم هشام المؤيد بالله... وامتناعه عن التعرض للولد من غيرها... حمله حبها أن يتزوجها"[15].

على هذا النحو، يصبح الملفوظ الحجاجي الذي تقوم عليه هذه الأطروحة هو التالي: الحب ليس محرما و لكنه مرتبط بالزواج و الإنجاب و لدينا في الخلفاء الراشدين و الأئمة خير دليل...

المخطط الحجاجي في طوق الحمامة:

اعتمد ابن حزم في هذه الأطروحة على البدء بتعريف الحب. وقد عمد في مخططه إلى الإعلاء من شأن الموضوع المطروح "دقت معانيه لجلالتها"

ومن بين الخطط الحجاجية المعتمدة أيضا نذكر خطة التعميم "وقد أحب من الخلفاء...كثير" أما الخطة التي ارتكز عليها أكثر من غيرها هي اعتماده الدين دائرة حجاجية لم يخرج عنها ولم يتجاوزها منذ بداية الأطروحة إلى نهايتها. فيقول "وإنما يجب أن نذكر من أخبارهم ما فيه الحزم و إحياء الدين"[16]. إلا أن اعتماده الخطة الأخيرة لم يكن منحصرا في هذا القول و إنما يمثل في نظرنا استراتيجية اتخذها في كامل الأطروحة، و ذلك يتمثل في التشديد على اختيار أمثلة من رجال الدين والفقهاء و اعتماده الفتوى.

كما عمد ابن حزم إلى استدراج المتلقي بضمه إلى دائرة الخطاب. و ذلك بتوحيده مع المتكلم مستعملا ضمير "نحن " "منهم بأندلسنا". إذ كان بإمكانه أن يذكر المكان دون تخصيص. فهذا الجمع يمثل حجاجيا، نوعا من الاحتواء.

و يعد الجمع بين الماضي و الحاضر عند الحديث عن تجارب رجال الدين من قبيل خطة حجاجية يراد بها الإقناع. فهذا الجمع بين الأزمنة يكسب الخطاب نوعا من الشمولية و من ثمة الإطلاق. فابن حزم يريد أن يجعل من الحب مسألة عامة مطلقة في الزمان و المكان.

صيغ الحجاج و تراكيبه و بلاغته:

يعد النفي، أسلوبا بارزا في هذه الأطروحة وهو متواتر. كما يعد جهة تعبيرية ذات دور حجاجي في عرض المعطيات. فهو كما يقول عنه عبد الله صولة "هو رد على إثبات فعلي أو محتمل حصوله من قبل الغير. فقد كان برقسون يرى أن الفكر السالب، لا يكون إلا إذا كان الأمر متعلقا بمواجهة الغير أي حين يكون مدار الأمر على الحجاج"[17] فابن حزم منذ البداية يستعمل النفي"فلا تدرك" و "ليس بمنكر"..."لم ير" "لم يكن له"...ويعد التراص أسلوبا بارزا لدى ابن حزم وهو ذو عمل حجاجي. ويكون التراص بواسطة طرائق الربط والاستئناف. فهي: "تبني النتيجة على السبب أو تحدث هرمية في شأن القيم(مثل الواو، أو، لكن..."[18] يبرز في النص خصوصا عند تعداد أعلام الدين و الفقهاء.

ويعد التأكيد بأنواعه من بين أبرز الأساليب الحجاجية. فهو لا يترك للسامع مجالا ليشك فيما يقوله الباث. هذا نجده جليا عند استعمال الكاتب أدوات منها: "إنما""قد"(عدة مرات) "لام التوكيد"(لأوردت).

أما التفصيل فهو كذلك بمثابة أداة أسلوبية حجاجية يعمد المتكلم الذي يستعملها إلى رفع الإبهام بواسطتها. فالتفصيل هو عكس الغموض ومن ثمة كانت حجاجيته("وأما كبار رجالهم"[19]...).

كما تعد الاستعارة من بين الصور البلاغية التي تضطلع بوظيفة حجاجية. إذ أنها تمس خيال المخاطب ومن ثمة أهواءه. فالأهواء وتر حساس بإمكان الخطيب أن يستغله. و لدينا في هذا النص أمثلة من الاستعارة نذكر منها قوله"دقت معانيه". و كذلك التشبيه فله الوظيفة الإقناعية نفسها للاستعارة.

و من الأمثلة الدالة على ذلك: "ومثل هذا كثير" و"مما يشبه هذا" و تعد الكناية أيضا بما هي وجه بلاغي،آلية الحجاج لا تقل أهمية عن الاستعارة و التشبيه.

و لدينا في النص مثالك: ("دعائم الدولة") فالكاتب يكني عن رجال مهمين في الدولة بإيراده صورتي "البناء" و"الأسس" لما لهما من قيمة. و في هذا السياق بالضبط يمكن الحجاج.

ونشير كذلك إلى استعمال ابن حزم ظاهرة الالتفات في الأزمنة و في الضمائر. و قد اعتبر كل من بيرلمان و تيتيكاه الالتفات أسلوبا بلاغيا لا يخلو من الحجاج. إذ يحقق الالتفات مفهوم الكلية بجمعه للضمائر و الأزمنة بفضل تجاوزها حينا و العودة إليها حينا آخر. و لدينا في النص أمثلة على ذلك. فابن حزم يذكر "أندلسنا" و فيها إحالة على الجمع ثم يعود ليتحدث عن نفسه "لأوردت" "أخبرني".

كما يراوح بين الضمير المخاطب في "أعزك الله" و بين ضمير المفرد الغائب "أحب" و كذلك ضمير الجمع الغائب "حقوقهم" ثم يعود إلى ضمير "نحن" في عبارة "شاهدناه". و هذا ما يقوي الحجاج. فحين يتحدث عن تجربته يستخدم ضمير المتكلم و حين يورد الملاحظ يستعمل ضمير الجمع،كما بينا آنفا، ليجعل المخاطب طرفا في الخطاب...

أما بخصوص الالتفات في الأزمنة، فهو واضح و جلي. فأحيانا يستعمل الماضي "دقت" و أحيانا يستعمل المضارع "نذكر"...و الأمثلة على ذلك عديدة. و مما يلاحظ في هذا السياق المراوحة بين بناء الأفعال للمعلوم حينا و للمجهول حينا آخر. "توصف" "يحصوا" "يحتاج"، فهذا النوع من الأفعال لا يتم بفاعل بل إن فاعله يقع في حدود المحتمل و العام، و هنا تكمن حجاجيته.

2.5الحجاج في باب علامات الحب:

تقديم الباب:

هذا هو الباب الثاني من الكتاب. عدد فيه ابن حزم علامات الحب وقد قسمها إلى نوعين: الأول"تأجج نار الحب" والثاني: بعده و النص في مجمله يقوم على التفصيل "للحب علامات: منها، و منها و منها...".

للحب علامات متضادة. و الأضداد أنداد و الأشياء إذا أفرطت في غايات تضادها ووقفت في انتهاء حدود اختلافها، تشابهت، قدرة من الله عز وجل تضل فيها الأوهام"[20]

الحجج:

أ- **حجة المقارنة**: "الضد ند"شأنه شأن ما يمكن أن يحدث في الطبيعة فالثلج تتحول برودته إلى حرارة شديدة إذا أطال الإنسان مسكه بيده...

ب- **حجة الكم**: وجود هذه الحالة سالفة الذكر، كثيرة في حياة الإنسان.

ت- **حجة التحديد**: نجد المتحابين إذا كثرت محبتهما لبعضهما البعض تضادا في القول و الفعل.

طبيعة الحجج و ترتيبها:

أدلى ابن حزم بحجج تراوحت بين الحجج ذات المصدر العلمي التجريبي (حجة المقارنة1) و بين الحجج ذات المصدر الواقعي (حجة الكم2) و(حجة التحديد3). و مرة أخرى يتبين لنا كيف يراوح ابن حزم بين العلم و الواقع لبلوغ غاية الإقناع. فهو لا يكتفي بنوع واحد من الحجج. و لقد اعتمد ترتيبا مخصوصا إذ بدأ بالحجة العلمية ثم دعمها بالواقع و هذا ما يمثل المنهج الاستقرائي الذي تحدث عنه أرسطو و كان ابن حزم قد أخذه عنه.

النتيجة:

لئن كان" قانون العبور" يقوم على تبيان تحول الضد إلى ضده في الحب: أي إذا بلغ الحب درجة تنتهي فيها حدوده، شأنه في ذلك شأن مختلف الظواهر التي نتعرض لها في الطبيعة... فإن مقتضى الكامن وراء الخطاب المباشر يصبح كالتالي:

إذا قبلنا بأن الشيء إذا اشتد انقلب إلى ضده، و كذلك الحب، فإن هذا يجعل من الحب أمرا خاضعا لمبدا الإفراط. و الإفراط متصل باعتلال العقل أو باختلال موازينه.

3.5 الحجاج في باب الإذاعة:

تقديم الباب:

هذا الباب هو باب مركز حجاجيا. ذلك أنه يلخص أهم ركائز الفكر الظاهري في نظر ابن حزم. فهو يبنى أساسا على 3 ركائز حجاجية و هي بمثابة التوجيهات. و يمكن أن تتناولها بالتحليل على أساس أنها تمثل أطروحات في النص.

إن الشخص الذي "يذيع" قصة حبه أمام الجميع له أسباب تدعوه لذلك. و الإذاعة مرفوضة عند الكاتب على أية حال. إذ يقول عنها " وقد تعرض في الحب الإذاعة وهو من منكر ما يحدث"[21].

ومن بين أسباب الداعية "للإذاعة" "غلبة الحب". ويمثل هذا الحب الموجب للإذاعة، إذ يقول ابن حزم في شأن ذلك: "وربما كان من أسباب الكشف، غلبة الحب، وتسور الجهر على الحياء. فلا يملك الإنسان حينئذ لنفسه صرفا و لا عدلا. و هذا من أبعد غايات العشق، و أقوى تحكمه على العقل، حتى يمثل الحسن في تمثال القبيح، و القبيح في هيئة الحسن. و هنالك يرى الخير شرا، و الشر خيرا"[22].

الحجج:

أ- **حجة التحديد**: يوجد أناس مصونو الستر، كشفهم فرط الحب.

ب- **حجة الكم**: وهي ضمنية أي داخل حجة التحديد: هؤلاء الناس هم كثيرون يقول عنهم الكاتب: "كم مصون الستر..."[23]

ت- **حجة الأنموذج**: و هي تمثل في النص حجة واقعية تعتمد وقائع فعلية حصلت شخصية يقول عنها "فتى من سروات الرجال"

اعتمد ابن حزم حججا من النوع نفسه ومصدرها الواقع. وقد تدرج من العام إلى الخاص ومثل بوجود الأشخاص الذين يكشفون عن الحب و نبه إلى كثرتم ، ويعتقد أن سبب نقل أخبار الحب و إفشاء سره و إذاعته،هو الاعجاب بذلك و المفاخرة به.

و هذا الباب يمثل توجها حجاجيا نحو الأخلاق كما يراها ابن حزم، و هذه النتيجة معلنة في النص، إذ يعتبر كشف الحب وجها من وجوه "العار"؛يقول: "و لا أدري ما معنى هذا".و معنى هذا القول أن المرأة العفيفة تمتنع عن الشهرة في الحب. وهذا التوجيه،و هذا التوجيه الحجاجي لمعنى العفة يمثل وجها من وجوه مفهوم عدم إذاعة خبر الحب. و نكتفي في هذا الباب بتوضيح أن العفة تقع في دائرة المنع من تداول الناس أخبار العشق المتعلقة بالمرأة خصوصا.

و قد اعتمد الكاتب في هذا الباب على أسلوب العرض باستعمال عبارات من قبيل: "من أسباب الكشف"و "ربما كان الكشف"و هو يعتمد على تجزيء الموضوع إلى أجزاء يحتج لكل منها على حدة.

6. خاتمة:

عندما نتحدث عن نجاعة الخطاب، يجرنا ذلك إلى النظر في الحجج و طبيعتها باعتبارها الأساسية في عملية الإقناع. فعندما درسنا الحجج في هذه الأطروحة تبينا تنوع مصادرها. فابن حزم بين النقل و العقل كما راوح بين التجارب الواقعية و بين الأصل الفلسفي للحجة. و هذا ليس غريبا عن "متكلم" متشبع بمبادئ العقل المستمدة من الفكر الفلسفي. فما قدمه ابن حزم من حجج يمكن اعتباره كاف للإقناع؛ وهذا ما جعلنا نتوصل للنتائج التالية:

- للأساليب البلاغية دور بالغ في دعم القوة الحجاجية للخطاب، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى المتلقين.
- تنوع الحجج و بلاغتها فمنها المباشرة و الغير مباشرة وهذا يدل على الثقافة الواسعة لابن حزم
- يكتسب الخطاب المبني على الحجاج تعدد القراءات إذ أن كل قراءة هي إضاءة لجانب من جوانبه.

و أخيرا ينبغي الإشارة إلى أن للخطاب وظيفتين دلاليتين، وظيفة أصلية قارة، ووظيفة متغيرة تبعا لسياق الاستعمال وهي وظيفة تتحدد حسب الظرف الاستعمالي للمتكلم و المستمع و المقام.

توصية:

ما تزال ملامح التفكير التداولي عند ابن حزم لم تستكمل بعد، ولا بد من تخصيص أبحاث علمية تستنطق النظام المعرفي لهذه الشخصية.

7.الهوامش:

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج2، بيروت، لبنان، ط، 1997، ص28

[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح محمد نعيم العرقسوسي، الرسالة للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط2005، ص183.

[3] عبد الرزاق بنور، جدل حول الخطابة و الحجاج ، الدار العربية للكتاب، ط2008، ص25.

[4] حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه و مجالاته، ج1، دار الكتاب الحديث، اربد، الأردنط، 2010، ص02.

[5] Andreé Lalande.vocabulaire technique et nitique de la philosophie id.puf.p78.79.

[6] شكري المبخوت، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1998، ص15

[7] حافظ اسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، دار الكتاب الحديث، اربد-الأردن، ط1، 2010، ص57.

[8] لعلاونة محمد الأمين: 2018/09/10، المظاهر الحجاجية في رسالة طوق الحمامة في الألفة و الألاف لابن حزم الأندلسي، مجلة البدر، جامعة بشار، العدد17، ص 1040-1049.

[9] للإطلاع أكثر ينظر، ديكرو: مقالي: العوامل الحجاجيةو القصد الحجاجي، و الحجاج و المبادئ الحجاجية .

[10] حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه و مجالاته، ص65.

[11] شكري المبخوت، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 380.

[12] حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه و مجالاته، ص64.

[13] ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة و الألاف، تح، محمد يوسف الشيخ محمد و فريد يوسف الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط200.ص 17.

[14] المصدر نفسه، ص 19.

[15] المصدر نفسه، ص16.

[16] المصدر نفسه، ص16.

[17] عبدالله صولة، الحجاج، أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف الحجاج..."مسكيلياني للنشر، تونس، ط2011 ص321.

[18] المرجع نفسه، ص 321.

[19] ابن حزم، طوق الحمامة، ص16.

[20] المصدر نفسه، ص38.

[21] المصدر نفسه ، ص 58.

[22] المصدر نفسه، ص58.

[23] المصدر نفسه، ص58.